مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية المجلد(07)، العدد (01)، (جوان -2022)، ص 859-874
ISSN: 2602-5566 EISSN:2716-8999

الهوية السائلة في المجتمعات المعاصرة

Liquid identity in contemporary societies

اليزيد بوعروري [1] *

جامعة سطيف 2-(الجزائر) lyazidbouarouri@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2022/01/30 تاريخ القبول: 2022/03/07

ملخص:

يتناول هذا المقال، التحولات الكبرى التي لحقت بمفهوم الهوية، فبعدما كانت تمثل الثبات والاستمرارية عبر الزمان والمكان، أصبحت في زمن الحداثة السائلة، متغيّرة، ومتشظية، ومتعددة الولاءات، بفعل التحولات التقنية، والاقتصادية والثقافية التي اجتاحت العالم. ومادام التغيّر قد لحق جميع المفاهيم، فالهوية غير مُستثناة من ذلك، فقد تمت إعادة النظر في مكوناتها، على ضوء والوقائع والأحداث، ودائما بعد الأحداث القوية المزلزلة، لا تعود الأشياء والمفاهيم كما كانت عليه من قبل. وكان الهدف من وراء هذا المسعى، بيان الخلفيات التي تقف وراء تغيّر مفهوم الهوية الذي كان ثابتا، ثبات الجبال طوال قرون خلت، ذلك الثبات، والإيمان به والدفاع عنه والتعصب له، ضدّ المخالفين، قاد الشعوب إلى حروب ونزاعات دموية، لا يستطيع أن يمحو سوادها، سوى مرور السنين الطوال. والمشكلة التي كانت مطروحة من خلال هذه الورقة هي ما ملامح الهوية السائلة وتجلياتها في ظل المجتمعات المعاصرة؟

الكلمات المفتاحية: تحولات؛ ذات؛ انتماء؛ عولمة؛ استهلاك.

Abstract:

This article deals with the major transformations that have occurred in the concept of identity. After it represented stability and continuity across time and space, it became in the era of fluid modernity, changing, fragmented, and multi-loyalty, due to the technical, economic and cultural transformations that swept the world. As long as change has affected all concepts, identity is not exempt from that, its components have been reconsidered, in light of facts and events, and always after strong seismic events, things and concepts do not return as they were before. The goal behind this endeavor was to clarify the backgrounds behind the change in the concept of identity, which was fixed, the stability of mountains for centuries past, that persistence, belief in it, defense of it, and fanaticism against it, against the violators, led peoples to wars and bloody conflicts, whose blackness he cannot erase. Only the long years have passed. The problem that was posed through this paper is what are the features of the fluid identity and its manifestations in the light of contemporary societies?

Keywords: transformations; self; belonging; globalization; consumption.

* المؤلف المرسل.

1-مقدمة:

يعتبر موضوع الهُوية، من العناوين الأكثر تداولا في حقول البحث؛ العلوم الاجتماعية، واللسانيات، والأدب، والفلسفة، ووسائل الإعلام، والخطابات اليومية. وكانت حصيلة المداولات، أن تعدّدت مفهومات الهوية، والمقاربات التي تحاول أن تستوعب تعرجات وتشابكات المفهوم وتجلياته.

والواقع، إن ثمة مقاربتان متعارضتان لمسألة الهوية؛ الأولى تذهب إلى أنه يوجد في قرارة كل إنسان، انتماء واحدا ذو أهمية، يمثل حقيقته الدفينة، وجوهره الذي يتحدّد تحديدا نهائيا، ولا يتغيّر أبدا، كما لو أن ما تبقى في مسار الإنسان، من حرية ومكتسبات في الحياة، يغدو عديم القيمة، فمثلا حينما يُطلب منا تأكيد هويتنا، فالمقصود هو استخراج ما في قاع النفس من انتماء جوهري، قد يكون دينيا، أو قوميا، أو لغويا، وإبرازه أمام الآخرين. والمقاربة الثانية، تربط الهوية بالتحولات التقنية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية المتسارعة في الفترة المعاصرة. ذلك ما عمل على دكّ كيان الهويات المستقرة والثابتة، وتنامى الشعور بأن الإطار الذي كان الناس سيشيّدون فيه هوياتهم، يتعرض لتحديات جدية.

صار واضحا للعيان أن المجتمعات تزداد تجزئة من الناحية الثقافية، وتزداد تعرّضا، في الوقت نفسه، لإضفاء التجانس بتأثير العولمة. وبدا كذلك، تآكل اليقينيات القديمة، ونقاط الإحالة السابقة، ليحلّ محلها عالم خفيف، ومرن، وسائل، وجديد من اختيار الفرد المستهلك والمعولم والسائل.

إن الانتماء الهوياتي إلى كيان واحد، في الحقبة الحالية، قد يُمارس بشكل متزامن مع الانتماء إلى كيانات أخرى، في أي صيغة أخرى ممكنة، دون أن يستدعي ذلك أي شجب أو خطوات قمعية. نتيجة لذلك، فقدت الكثير من الارتباطات شدّتها وقوة حماستها وحيويتها بسبب الولاءات الموازية. أصبح من الصعب على أي ولاء أن يشغل الذات بكليتها، بما أن كل شخص يرتبط خلال حياته، بعدة انتماءات، فعدم الإخلاص لانتماء معين لم يعد خيانة. إن الشباب من الجيل الحالي لم يعودوا مهتمين بتحديد مسبق لمشاريع حيواتهم، ووصف مخططات لتحركاتهم، لأن يقينهم يتغير على إيقاع الحياة السريع. ما عادوا مقتنعين بالقديم، إذ هم يعملون على التخلّص من كل ولاء للأشخاص، والأشياء، والأفكار.

الناس في حالة من التغيّر الدائم، وذلك ما تشير إليه استعارة "السيولة"، إنهم منخرطون في عملية إعادة تعريف مستمرة للذات، أي التحول إلى أشخاص غير الذين كانوا من قبل، لو بشكل جزئي، لأن الحياة في المجتمعات المعاصرة، تعمل على تجريد نفسها من السمات التي مرّ علها تاريخ الصلاحية.

وإذا كان الأمر كذلك، فما الفرق بين التصور ما قبل الحداثي، والحداثي السائل أو ما بعد الحداثي للهوية؟ كيف نفسّر علاقة الهوية بالنزعة الاستهلاكية للمجتمعات المعاصرة؟ وما تأثير العولمة على الهويات؟ وكيف انتقل مفهوم الاعتراف لرجل الدين إلى شكل من الاعتراف أمام الناس جميعا؟

2-مفهوم الهوية:

الهوية identité من اللاتينية idem بمعنى نفسه le même. وهي أثر نستشعره بأننا نكون أنفسنا، وتعرّف الآخر علينا بأننا وُهبنا شخصية. (Blay, 2005, p. 512)

فللهوية علاقة بالتطابق مع الذات عند شخص ما، أو جماعة اجتماعية ما، في جميع الأزمنة، وجميع الأحوال، فهي تتعلق بكون شخص ما أو جماعة ما، قادر أو قادرة على الاستمرار في أن يكون ذاته أو ذاتها، وليس شخصا أو شيئا آخر. (بينيت، 2010، صفحة 700)

والهوية مركب من المعايير، يسمح بتعريف موضوع أو شعور داخلي ما. وينطوي الشعور بالهوية على مجموعة من المشاعر المختلفة، كالشعور بالوحدة والتكامل والانتماء والقيمة والاستقلال والشعور بالثقة المبني على أساس من إرادة الوجود. (ميكشيللي، 1993، صفحة 15) يتضح من ذلك أن الهوية، مفهوم مركب من عدة عناصر تتظافر الواحدة مع الأخرى عبر الزمان والمكان والظروف لتتشكل.

إذ هي منظومة من المعطيات المادية، والمعنوية، والاجتماعية، التي تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفية، ولكن لا يمكن لمثل هذه المنظومة أن تكون في حيّز الوجود ما لم يكن هناك شيء ما يعطيها وحدتها ومعناها، ويتمثل ذلك في الروح الداخلية التي تنطوي على خاصة الإحساس بالهوية والشعور بها. فالشعور بالهوية مركب من المشاعر المادية، ومركب من مشاعر الانتماء، والتكامل، والإحساس بالاستمرارية الزمنية، والتنوع، والقيم، والاستقلال والثقة بالنفس، والإحساس بالوجود. (ميكشيللي، 1993، الصفحات 129-130)

ويرى بعض الباحثين أن للهوية أبعاد ثلاثة مترابطة هي:

الهوية الشخصية؛ فالكائنات البشرية عبارة عن أفراد متفردين، ومراكز مميزة للإحساس بالذات، ويملكون أجساما وتفاصيل ذاتية مختلفة، وحياة داخلية لا يمكن إقصاؤها، وشعور بالكيان الشخصي والأفكار والآراء الخاصة. والهوية الاجتماعية؛ على اعتبار أن الناس جماعات عرقية أو دينية أو ثقافية أو مهنية أو قومية أو غيرها من الجماعات، وترتبط هذه الجماعات بالآخرين بطرق رسمية وغير رسمية لا حصر لها. هذه الجماعات تشكّل وتميّز نفسها كما أن الآخرين يميّزونهم من حيث انتمائهم لجماعة من الجماعات أو أكثر من جماعة. أما الهوية الإنسانية: فمن جهة أن الناس كائنات بشرية تنتمي إلى نوع مميّز، هم يعرفون أنفسهم ويقررون كيف ينبغي أن يعيشوا ويسلكوا كبشر. والأبعاد الثلاثة متداخلة ولا يمكن فصلها، وكل بعد منها يفترض مسبقا البعدين الآخرين

ويكتسب معناه ارتباطا بهما ويشكل جزء مما يسمى بالهوية الفردية أو الهوية الشاملة لإنسان... (باريت، 2013، الصفحات 30-31)

وكما يتضح من التقسيم، فالهوية ثلاثة أقطاب متساوية ومتماسكة، قطبها الأول ذاتي مرورا بالاجتماعي، وصولا إلى الإنسانية، التي تضم كل الهويات على اختلافها. وهذا التصور إنساني يريد أن يجمع الهويات، بدل التركيز على الاختلافات والانشقاقات الحاصلة في الكثير من المجتمعات التي مزقتها حروب الهوية.

3-طروحات الهوية بين الحداثة وما بعد الحداثة:

ثمة موقفان أساسيان من الهوية، الموقف "الجوهراني" والموقف "الإسماني"، الأول يمتد بجذوره إلى فلسفة بارمنيدس الداعية إلى الثبات، ومفاده أن هناك فرادة جوهرية لكل كائن بشري، وانتماء جوهريا أيضا، لا يتعلق بالزمن، ويمثل بالتالي انتماء مسبقا، موروثا بالولادة. هذان المعتقدان مترابطان، فلأننا نؤمن بأن الانتماء محدد مسبقا، نستطيع تعريف الفرادة الجوهرية لكل شخص. كل شخص يصبح في الواقع ما هو عليه، إنه يستكمل مصيره، سواء كان هذا المصير مسجلا في جيناته أم محددا وفق "وضعه الأسري"، ويبقى مطابقا لوجوده الجوهرية.

أما الموقف "الإسماني" والذي يرتبط أساسا بفلسفة هرقليطس القائلة بالتغير الدائم، والذي يمكن أن نطلق عليه اسم "الوجودي" (ليس هناك جوهر، بل وجود ممكن)، فهو يرفض الاعتراف بوجود انتماءات "جوهرية" بذاتها وبالتالي اختلافات نوعية مسبقة ودائمة بين الأفراد. الموجود هو أساليب مماثلة، تتبدل على مدى التاريخ الجماعي والحياة الشخصية، تخصيص لمقولات متنوعة تابعة للسياق. تنقسم وسائل المماثلة هذه إلى نمطين: المماثلات التي يمنحها الآخرون (ما ندعوه الهويات للغير) والمماثلات التي يتبناها المرء نفسه (الهويات للذات) وبالفعل، يمكنك دائما قبول الهويات التي تنسب إليك، أو رفضها. يمكن أن يماثل المرء نفسه بصورة تختلف عن مماثلة الآخرين له. والعلاقة بين سيرورتي المماثلة هاتين هي أساس مفهوم أشكال الهوية. (دوبار، 2008، الصفحات 19-20)

إن الحداثة هي التي اخترعت فكرة الهوية، مثلما خلقت أيضا مقولات السيادة والإقليم والعلم والوطن...وتعود فكرة الحداثة بعامة إلى معنى حرية الذات، أي كنمط موجب من الاستقلال، لم يحصل عند القدماء. ومن يتصفح كتابات المدافعين عن مشروعية الحداثة، مثل تايلور، ورورتي، أو ريكور وهابرماس، سيكتشف بأن الهاجس الأساسي عندهم، صراحة أو ضمنيا، هاجس هووي. إن الأمر يتعلق بترتيب شروط تأريخ جيدة لتجربة الذات الحديثة.

إن الحداثة شكل جديد من التوحيد، بمعنى أن كل تفكير يقوم على وضع معنى الكائن على صعيد من التعالي يحرمه حرمانا جذريا من أي انبساط محايث لطبيعته الفريدة. ولذلك فإن

الحديث عن زحزحة أفق الحداثة، يقتضي انزياحا ما في أفق التوحيد. وهو أمر لابد أن يطال فكر العالم الواحد، والإنسانية الواحدة، والهوية الواحدة. (المسكيني، 2011، الصفحات 69-209)

والانتقال من الحداثة إلى ما بعد الحداثة تضمن انتقالا من براديغم "الذات" إلى جملة من أشكال "التذوّت" بلا براديغم. لم يعد ممكنا فهم الإنسان بوصفه ذاتا حديثة؛ سيدة، محضة، متعالية، بل صار الإنساني لا يوجد في الأنا الخاص أصلا؛ إنه لم يعد شخصا، بل شكلا من التشخّص والتهوي والتفرّد.

إن مفاهيم الأنا، والشخص، والهوية، والفرد هي عناصر جهاز المتعالي القائم على فرضية التوحيد الأونطولوجي لأجسادنا بواسطة العقل. ونهاية الحداثة هي نهاية هذا النوع من الانتماء إلى أنفسنا. لم يعد الجواب عن السؤال "من؟" هوويا. لم يعد هذا الأنا أو الآخر، بل هذا الشكل من التذوّت أو ذاك، هذا الشكل من التهوي أو ذاك، هذا الشكل من التفرّد أو ذاك. (المسكيني، 2011، صفحة 218)

وتعني ما بعد الحداثة في هذا السياق، خاصة لدى المهتمين بدينامية المجتمع المعاصر وثقافته، على ظهور سلوكيات وأنماط ومنتجات ثقافية جديدة، تغيّر إذا اجتمعت، حياة الأفراد في المجتمعات الغربية وغير الغربية، بطريقة جذرية. ولذلك يبدو أن فكر ما بعد الحداثة يشير إلى وضع جديد، تكون فيه الأمور مختلفة عن ذي قبل. فمن حيث التطورات الاجتماعية والثقافية وردود فعل الأفراد إزاءها، يُنظر إلى فكر ما بعد الحداثة على أنه يعني الانفصال عن الماضي والتوجّه نحو مستقبل لم نشهد له مثيلا من قبل.

وعلى مستوى الهوية، ينظر فكر ما بعد الحداثة، إلى أن الذاتية في الزمن المعاصر مجزأة ومرنة ومتحررة. ومثل هذه الهوية ما بعد الحداثية ليست ثابتة مطلقا، ولا محددة، ولا تعتمد على عنصر مفتاحي واحد، كأن يرى المرء نفسه منتميا إلى الطبقة العاملة فقط، فليست هذه الهوية مقيّدة ببنى اجتماعية وإنما تتحرك بحرية، وهي منفتحة على التغيير والتعديل. وتتعلق الهوية بالكثير من الارتباطات والتوجهات، حتى وإن كانت في بعض الأحيان متناقضة منطقيا بحسب معايير الحداثة للمنطق. (إنغليز، 2013، الصفحات 205-228)

إن هذا التفسير يعتبر الهوية عنصرا، مرنا، متحركا، سائلا، يتأسس في سياقات اجتماعية وتاريخية محددة، ومنه، فهي عرضة للتغيّر وإعادة التصوير باستمرار. الهوية لا يمكن أن تكون مكتفية ذاتيا، بل تتأسس على لعبة الفروق، وتتشكل في، ومن خلال العلاقات المتغيرة بهويات أخرى.

والهوية السائلة، تابعة لنمط الحياة الذي تحياه المجتمعات المعاصرة، فيما بعد الحداثة، أو ما يسميه زيجمونت باومان بالحداثة السائلة، وهي نفس الاستعارة "السيولة" التي يطبقها "جورج

ريتزر" في دراسته الشاملة والمعمقة للعولمة، من جهة أن التغير هو العنوان الثابت والوحيد الذي يسودها، وأن اللايقين هو اليقين الوحيد الذي يحكمها.

4-إلقاء المرساة ورفعها بدل الجذور والاقتلاع:

تشير استعارة "الجذور والاقتلاع" إلى التصور القديم (الحداثي وما قبل الحداثي) للهوية، ومن دلالاته خروج الفرد وتحرره من مجتمعه، قد يغادره ليعيش في مجتمع آخر ويعتنق ثقافته. هذا التصور أصبح قضية خالية من المعنى في التصور الحداثي السائل، وتم استبدال هذه الاستعارة بأخرى أكثر مرونة وسيولة "إلقاء مرساة ورفعها" فالذات صارت بمثابة سفينة تبحر وترسو في موانئ مختلفة، فعندما ترسو في ميناء ما تلقي مرساتها، وعندما تغادره ترفعها، دون أن تكون هناك ندوب وآلام، مثلما يحدث مع اقتلاع الجذور.

فالجذور جزء من تصميم النبتة وشكلها المحدد سلفا-فليس ثمة احتمال أن تنمو منها نبتة من نوع آخر-في حين أن المراسي ليست سوى أدوات تسهّل ارتباط السفينة المؤقت بمكان وانفصالها عنه، وهي وحدها لا تحدّد خصائص السفينة وإمكانياتها. الفترات الواقعة ما بين رمي المرساة ورفعها مرة أخرى ليست سوى مراحل في مسار السفينة. اختيار الميناء الذي سترمى فيه المرساة يحدّده على الأرجح نوع الحمولة التي على السفينة؛ فميناء مناسب لنوع الشحنات قد لا يكون مناسبا مطلقا لنوع آخر. (باومان، 2016 أ، صفحة 38)

إن الهوية، سيرورة من التحول الدائم، بمعنى أنها إنتاج تاريخي في تطور دائم، الفاعل من خلالها، يغدو كآخر. سيرورة من البناء وإعادة البناء، وتفكيك لتعريف الذات. هذا يقودنا إلى التفكير فيها كتوتر مستمر بين الكينونة والصيرورة. إضافة إلى أن الهوية، ليست بناء منعزلا، إنها عملية علائقية تجري حسب علاقات تفاعلية مع الآخرين. إنها نتاج يقوم: بـ، ومع، وضدّ الآخرين. (Haissat, 2006, pp. 126-134)

إن المجتمعات المعاصرة تتميّز بسيادة الهويات المتشظية، والناس لم يعد بوسعهم امتلاك فكرة موحدة عن هويتهم، وإنما يمتلكون العديد من الهويات الملتبسة أحيانا، وهذه الهويات المتشظية لها مصادر متعددة. إن التغيّر سمة العصر، والسيولة هي العنوان الذي يتماهى معها لحسن التعبير عن سرعة التغيّر، والذي يجد الناس من خلاله صعوبة الاحتفاظ بإحساس موحد بهويتهم. فالتطور السريع في الاتصالات وسهولة وسرعة انتقال الناس حول العالم، والطابع العالمي للتسويق من حيث الأماكن والأساليب والصور الانطباعية كل ذلك قاد إلى خلق تأثيرات ثقافية. والناس لم تعد هوياتهم مقتصرة طبقا للمكان الذي ولدوا فيه. بل أصبح بإمكانهم الاختيار من بين نطاق واسع لمختلف الهويات. فهم يستطيعون تبني شكل الملابس وطرق التحدث وكذلك أسلوب الحياة والقيم الخاصة بأي مجموعة. (هارلمبس، 2010، الصفحات 97-98)

5-تشكّل الهوية على ضفاف الحرية والأمن:

في عصر حيث معالم الهوية متعددة ومختلطة، لا يمكن للهوية إلاّ أن تتشكل إلاّ في اللقاء مع الآخرين، هناك حاجة ملحة ومستمرة، لإعادة تعريف الأنا والآخر، لمسايرة التعقيد المعرفي الذي أوجدته هذه اللقاءات الجماعية والمختلفة، وذلك حاضر بشدة عند الأفراد المعاصرين. فالتساؤلات، والمطالبات الهووية، وإعادة تعريف الذات والآخر، تنسف وهم الوحدة، أي تبدّد تخفيض الفرد إلى انتماء جماعي بسيط؛ إثني أو ثقافي أو وطني. (Dervin, 2008, pp. 95-104)

إن الهويات في المجتمع المعاصر السائل، هي بصدد إعادة التباحث، وتشكلها، أو بالأحرى إعادة تشكلها، يستغرق حياة بأكملها، فالهوية مستمرة في التشكل مادامت الحياة مستمرة في التغير؛ ظروف الحياة، والفرص والتهديدات، وهذا يسبب الكثير من التوتر والقلق الذي لا يملك علاجا. العلاج الحاسم كسراب يهرب دوما إلى الأمام، لأن محاولات تشكيل الهوية تغيّر اتجاهها، وبالضرورة، بين قيمتين إنسانيتين متساويتين في مركزيتهما: الحرية والأمن. هاتان القيمتان، اللتان لا يمكن الاستغناء عنهما لحياة إنسانية محترمة، يصعب التوفيق بينهما، والتوازن التام بينهما مازال موضع بحث.

والتعارض بين القيمتين يتجسد في: رغبة في الإحساس بالانتماء داخل جماعة أو داخل تجمع، ورغبة في التميّز عن عامة الناس والإحساس بالفردية والأصالة؛ حلم الانتماء وحلم الاستقلال؛ الحاجة إلى الدعم الاجتماعي وطلب الاستقلال؛ أمنية التماثل والبحث عن التفرّد. باختصار، كل هذه التناقضات تتلخص في الصراع بين الحاجة إلى الارتباط طلبا للأمان، والحاجة إلى الانطلاق طلبا للحرية. أو إذا نظرنا إلى هذا الصراع من منظور آخر، يمكننا القول بأنه الخوف من كون المرء مختلفا، والخوف من فقدان الفردية؛ أو الخوف من الشعور بالوحدة والخوف من انعدام العزلة. (باومان، 2018، صفحة 26)

في كل مكان تفقد الروابط الإنسانية، سواء كانت موروثة أم مربوطة بمسار التفاعلات الحالية، حمايتها المؤسسية السابقة، الضمانات التي ينظر إليها على نحو متزايد بوصفها قيودا مزعجة وغير محتملة على حرية الفرد في الاختيار وتأكيد الذات. بتحررها من الإطار المؤسسي (الذي يخضع للرقابة ويستاء منه بوصفه قفصا أو سجنا) أصبحت الروابط الإنسانية ضئيلة وهشّة، سهل كسرها وقصير عمرها في الأغلب. (باومان، 2016 أ، الصفحات 31-36)

إن الطريق إلى الهوية معركة مستمرة وصراع لا نهائي بين الرغبة في الحرية والحاجة إلى الأمن، إنه طريق محفوف بالخوف من الوحشة ورهبة العجز وفقدان القدرة على الفعل. وهكذا فإن "حروب الهوية" لا تسفر عن نتيجة حاسمة، بل إنها حروب خاسرة بكل الاحتمالات، وستظل "قضية الهوية" أداة هذه الحروب وهدفها الظاهر التمويهي. ومما لا شك فيه، أن أصل الهوية الوحيد الذي يمكن أن يخرج من هذا التغير المستمر سالما، وربما أشدّ قوة، هو "الإنسان حرّ

الاختيار" وليس الإنسان الذي حدّد اختياره بالفعل. فأصل الهوية يمثل ذاتا غير دائمة، وغير مكتملة، وغير قاطعة، وغير أصيلة...

ويمكن القول إن الحرية والأمن قيمتان يسعى المرء إليهما، ويحرص على نيلهما كل الحرص، فلا غنى عنهما لحياة كريمة وسعيدة، وهما خطان يلتقيان في خطاب الهوية السائد. هذان الخطان معروفان باجتناب التنسيق، فكل واحد منهما يتجاوز عادة النقطة التي يتعرض عندها أحدهما للإبطاء أو الإيقاف أو حتى فرض السير عكس الاتجاه. (باومان، 2016 ج، الصفحات 57-62)

ويتجلى التنافر بين الحرية والأمن في الهوية، في أن من يريد تحقيق الأمن رغم المخاطرة بالاختيار الحر وتبعاته، يعكف على تأكيد مزايا الهوية السيالة؛ غير الثابتة، وغير المكتملة، والجانب المهم فيها أنها عباءة خفيفة يسهل التخلص منها أو إعادة النظر فيها. أما بالنسبة للمتضرر من فخاخ الهوية، ويعاني القهر، ويتعذب من عدم الأمان، فيحرص على اعتبار الهوية سمة دائمة، وملكية ثابتة وأصيلة. هذان الطرفان المتنازعان يستخدمان الكلمة نفسها للإشارة إلى معان مختلفة تمام الاختلاف، مما يحول دون وجود حوار مثمر. فمع أن الطرفين يتحدثان عن الهوية، ربما يتحدث كل منهما عن شيء مختلف.

وفي كلتا الحالتين، لا يستدعي الطرفان الهوية باعتبارها غاية بنفسها، بل تختلف أغراض الاستدعاء تمام الاختلاف. إنها أغراض تضرب بجذور راسخة في الممارسات الإنسانية، فيما يحاول البشر الدفاع عن أنفسهم ضدّه، وفيما يصارعون من أجل بقائهم. وما دامت هذه الممارسات تختلف فيما بينها، فإن الظلال الدلالية التي تُضفى على الاهتمامات بالهوية ستظل مختلفة. فالواقع، كما يقول ماركس، لابد من أن نراه بوصفه "نشاطا حسيا بشريا، أي بوصفه ممارسة"، مادامت "الحياة الاجتماعية هي عملية في جوهرها". (باومان، 2016 ج، الصفحات 64-65)

6-الهوية في الموضة والاستهلاك:

أخذت الموضة مكانها داخل المجتمعات، واهتم بها الدارسون، لا من جهة أن الأزياء مجرد مظاهر وإعجاب بها، ولكن لأنها صارت مؤسسة استثنائية وسمة للواقع الاجتماعي للمجتمعات المعاصرة، لا تدل الأزياء على طموحات الطبقة، بقدر ما تدل على عالم التقاليد، فهو واحد من تلك المرايا التي نبصر من خلالها المصير التاريخي الأكثر تفردا، وإنكار الماضي التقليدي، وحمى الابتكارات الحديثة، والاحتفاء بالحاضر الاجتماعي.

للموضة مكانة استراتيجية في آداء المجتمعات المعاصرة. لم تعد الأزياء متعة جمالية أو ديكورا لها، لكنها تمثل العمود المركزي. لقد أكملت الموضة، هيكليا سياقها التاريخي، ووصلت إلى أوجّ قوتها، فقد تمكنت من إعادة تشكيل المجتمعات كلها في صورتها. (ليبوفتسكي، 2017، الصفحات 14-16)

إن الموضة كبحث عن منتجات جديدة في اللباس، والأجهزة الإلكترونية، والأثاث، والسيارات... يطبعها التنافس الشديد. والعلامات الجديدة سرعان ما تكون شائعة، فتصير مبتذلة، والإبطاء المؤقت عن متابعة هذه المقتنيات الجديدة قد يؤدي إلى فقدان الفردية، فالعلامات الجديدة الدالة على مسايرة الجديد لابد من اكتسابها بسرعة، أما علامات الأمس، فلابد من إلقائها في كومة النفايات بأسرع وقت. لذلك، فحركية الموضة مدمرة لكل جمود وإبطاء. تجعل تشكّل أسلوب حياة الأفراد وهوياتهم في حالة من الفوران اللانهائي، إذ تعتبر الموضة في المجتمعات المعاصرة المحرك الذي يعمل على تشغيل التغير الدائم وتحويله إلى حالة طبيعية. (باومان، 2018، صفحة 28)

إن قوة السوق فرضت على الثقافة الخضوع لمنطق الموضة. لذلك، كي يكون المرء على طبيعته، ولكي يراه الناس كذلك، عليه أن يثبت قدرته على أن يصبح شخصا آخر، فالنموذج الشخصي في البحث عن هوية، يصبح نموذج الحرباء في تلونها. فبتأثير الثقافة، يكون الشخص مطالبا باكتساب القدرة على تغيير هويته، بسرعة وكفاءة تضاهي سرعة تغيير القميص الذي يرتديه. والسوق في الخدمة، لمساعدته ولكن بثمن. (باومان، 2018، صفحة 30)

والدخول في مواكبة الموضة، يعد باكتساب الانتماء، أي اكتساب القبول والاندماج مع الآخرين، كما يعد بحماية من الفشل، وتجنب الإقصاء والهجر، ولكن عبر الاقتناء المتزايد، الذي يتم من خلاله التقليل من أهمية حاجات الأمس والحطّ من شأنها والسخرية منها وتقبيحها. وفي كل فصل من فصول السنة، يتكرر هذا المشهد، فإذا كانت موضة فصل من الفصول لا يمكن أن تتكرر، فإنه يستحيل العثور على الذات الحقيقية في مجرد تغيير اللباس، إن البحث عن الذات عملية مستمرة.

يمكن القول، إن قانون الموضة في زمن الحداثة السائلة ينادي بأعلى صوته: لا شيء ملزم بالدوام. فالرغبات التي تعتبر اليوم مفيدة وضرورية، تصبح تاريخا قبل أن تستقر لفترة كافية، لتتحول إلى عادة وحاجة، وليس هناك شيء يعتقد أنه سيبقى إلى الأبد، لا شيء يبدو غير قابل للاستبدال، فكل شيء يولد موسوما بالموت الوشيك، ويخرج من خط الإنتاج مكتوبا عليه تاريخ صلاحية محدّد. (باومان، 2016 أ، الصفحات 200-241)

في المجتمع الاستهلاكي، تمثل المشاركة في التبعية الاستهلاكية، وفي التبعية العالمية للتسوق، الشرط الضروري لكل فردية، بل الشرط لأن يكون للمرء هوية. صارت اللوازم المصنوعة بالجملة أدوات للتنوع الفردي. والهوية الفريدة والمتفردة لا يمكن التعبير عنها إلاّ في مادة يشتريها كل واحد على حدة، ولا تحقيقها إلاّ من خلال التسوق. فالمرء يحصل على الاستقلال عبر الاستسلام.

ولا تقتصر تبعية المستهلكين، بكل تأكيد، على فعل الشراء، وخير شاهد على ذلك السلطة الكبيرة التي تمارسها وسائل الإعلام على الخيال الرائج، الجمعي والفردي كليهما. فثمة صور قوية "أكثر واقعية من الواقع" على الشاشات في كل مكان تضع معايير الواقع، ومعايير تقييمه، ومعايير الحث على تحلية الواقع "المعيش" وإمتاعه. فالحياة المرغوبة هي عادة الحياة "كما نراها على شاشة التلفزيون" وتلك الحياة تقزّم الحياة المعيشة وتسلبها سحرها، حتى أن الحياة المعيشة هي التي تبدو غير واقعية. (باومان، 2016 ب، الصفحات 140-141)

إن النزعة الاستهلاكية، قد خلخلت استقرار المؤسسات المسؤولة عن تكوين الهوية كالأسرة والمدرسة، فالعلامات التجارية الكبرى غدت هي نقاط الاتصال الوجداني، بمعنى حدث هناك إحلال الولاء للعلامة التجارية محل الروابط الإنسانية في تشكيل طموحات الناس وهوياتهم. ومنه، أصبحت هوية الشخص في المجتمع الاستهلاكي هي: أي مشروبات يتناول، وأي أفلام يشاهد، وأي موسيقى تروق له... وكل ذلك يحصل عليه من المحال التجارية. (باومان، 2016 ب، الصفحات 121-154)

7-الهوية والعولمة:

إن ما بدا صلبا بمعدل متصاعد على مدى القرون القليلة الماضية، قد أخذ في الذوبان وصار سائلا على نحو متزايد. وبدلا من التفكير في البشر، والموضوعات والمعلومات والأماكن بوصفها أشياء تشبه كتل الجليد، تتعين رؤيتها بوصفها تنزع، في السنوات الأخيرة، للذوبان والتحول على نحو مطرد إلى سوائل. والظواهر السائلة، على سبيل المثال لا تحتفظ بأشكالها بسهولة أو لأمد طويل. ولذا، فإن الظواهر السائلة المرتبطة بالعولمة والتي يفوق عددها الحصر، لا تتخذ أي شكل مميز، وحتى لو اتخذت شكلا، فإنه سوف يتغير على الأرجح وبسرعة هائلة، وإن أشياء كثيرة، بما فيها أنفسنا، تصير، أينما التفتنا، مسيلة على نحو متزايد. (ريتزر، 2015، الصفحات 33-35)

العولمة بتحولاتها التكنولوجية، والاجتماعية، والثقافية ظاهرة بالغة التعقيد، ويمكن لأي كان الإفادة منها. إنها ليست أداة في يد أحد، بل هي فضاء مفتوح تدور فيه مختلف العمليات. ولا شكّ أن العولمة قد أحدثت في حياة كل الناس، وفي كل بقعة من الأرض تحولا جذريا. ولا مجال لتقييم هذا التحول بالسلب أم بالإيجاب، لأنه ليس مشروعا خاضعا للاستفتاء، بل حقيقة واقعة. والطريقة التي سيؤثر بها هذا التقدم على هوياتنا، يرتبط في جزء كبير منه بذواتنا. وبعيدا عن التقوقع داخل الهوية الواحدة الثابتة ومهاجمة العولمة، أو العكس، تقبل التحولات ونسيان الهوية الأصل، فإن المؤكد هو أن التحولات الجارية في العالم، سيؤدي إلى بروز مقاربة جديدة لمفهوم

الهوية. مقاربة تتجاوز المفهوم الثابت، إلى آخر يلامس الجماعة البشرية. (معلوف، 2011، الصفحات 141-148)

العالم على ما يتشكل في زمن العولمة، يخضع لتغيرات تنقلب معها القيم والمفاهيم، وتتحول المشروعيات والمهمات، مثلما تتجدّد القوى والوسائل والمؤسسات، مما يفسح المجال لنشوء سياسات فكرية وممارسات معرفية تتجاوز ما كان سائدا. ثمة فاعل بشري جديد، تشكّل في بعض المجتمعات، وآخر آخذ في التكوّن في بعضها الآخر، يجسّد نمطا مغايرا في ممارسة الوجود، أو شكلا جديدا للترابط والتعايش، بقدر ما يفكر ويعمل على صنع ذاته والتعاطي مع واقعه، من خلال الابتكار والإنتاج؛ فهما وتقييما، وتنظيما وتدبيرا. ذلك الفاعل المبدع والمسؤول، يفكر في عولمة هويته، لكي يمارس علاقته بوجوده على سبيل الإبداع والازدهار. إنه لا يخشى الواقع وحوادثه، بل ينخرط في ورشة الإبداع لإنتاج المعلومة الكونية وإدارتها بصورة تواصلية عالمية. (حرب، 2004، الصفحات 12-13)

تغيّر العالم بصورة متسارعة، ومازال يتغيّر، فنحن نشهد اليوم تحولات عميقة، على صعيد الواقع، وعلى صعيد الأفكار. من الإعلام المتعدد إلى العقول الإلكترونية التي تجيد الحساب والتقدير، ومن الأبجدية الحروفية للكتب الورقية إلى الأبجدية الرقمية للشاشات الضوئية. وكل هذه الأحداث وأخرى يتغير معها المشهد الكوني، وتتغير معه جغرافية العقل وعلاقات القوة، بقدر ما يتغيّر نمط العيش ومنظومات التواصل. هذا التحول يطرح أسئلة على كل المجتمعات؛ شرقية وغربية، إسلامية أم مسيحية. إنها تحديات تواجه الهويات.

وليس غريبا أن تكون النتيجة كذلك، وتصبح الهوية وفقا لذلك، غير ما يملكه المرء ويعطى له. إنها ليست كيانا ماورائيا، وإنما هي ثمرة الجهد والتمرين والاشتغال على المعطى الوجودي، بكل أبعاده من أجل تحويله إلى إنجازات. إنها صناعة وتحويل، بقدر ما هي انبناء وتشكيل، يمكن القول إنها بنية يُعاد بناءها باستمرار. وهكذا، فمع العولمة تتغيّر هندسة العلاقة بالأشياء، بحيث يتشكل واقع عالمي جديد، لا مجال لرسم حدوده بصورة نهائية وحاسمة، كما تتشكل هويات مرنة ومتعددة الانتماءات. (حرب، 2004، الصفحات 23-32)

إن عولمة الهويات والمجتمعات والأوطان، عبر الشبكات والأسواق والهجرات، تبدو أقوى وأولى من العقائد والإيديولوجيات. وتلك ثمرة للإعلام المتطور، وللسرعة التي تحرّك الأشخاص وانتقالهم عبر القارات. تبدّل وجه الحياة على الأرض، وذلك بخلق واقع بلا حدود نهائية، وبلا هويات متميّزة بصورة حاسمة، الأمر الذي يضع الهوية موضع التساؤل، بفتحها على تعدّد الأمكنة والعوالم والانتماءات. (حرب، 2004، صفحة 43)

8-الهوية والاعتراف:

نعيش اليوم في عصر وسائط التواصل الاجتماعي. إن الفيسبوك وتويتر وجوجل... جميعها أمثلة على التحول السريع في حياة الناس، في التفاعلات والهويات والنقاشات والآراء، إلى ساحة جديدة يختلط فيها العام بالخاص، وإلى مشاع اجتماعي رقمي واسع، ويجري هذا التحول على نطاق واسع وغير مسبوق. ففي الفيسبوك وحده تجري إضافة 250 مليون صورة يوميا، وتضاف 200 مليون تغريدة إلى تويتر، وأربعة مليارات مشاهدة فيديو يوميا على يوتيوب، في الوقت الذي يقوم فيه مزيد من الناس بتحويل حياتهم إلى منصات وسائل تواصل اجتماعي، فإنهم يصبحون جزء من الساحة العامة على نحو متزايد. (أوماند، 2014، صفحة 9)

إن الإنترنت، وبالخصوص منصات التواصل الاجتماعي صارت مصدرا للممارسات الاجتماعية الجديدة، والتي تشكّك في شرعية بعض المعايير الثقافية الراسخة، وتعيد تعريف المعرفة، وتغير طرق ولوج المعلومات، وتخلخل المبادئ التقليدية للإعلام. لقد أعادت بناء شخصيتنا بفضل الأشكال الجديدة للحضور والمشاهدة. إنها تُضعف بعض المبادئ القانونية كحقوق الملكية، والملكية الفكرية، وتغيّر علاقتنا بالكتابة، وتفرض تحولا جذريا لعلاقتنا بالمجال والزمن. والقائمة طويلة بخصوص مؤثراتها على بيئتنا العقلية وتصرفاتنا الاجتماعية، وقطعا إنها تمسّ كل أركان المجتمع. (ريفيل، 2018، صفحة 28)

لقد أسهمت وسائط التواصل الاجتماعي، في ترسيخ أشكال تبادلات غير مسبوقة ومختلفة، فطريقة التصرّف فيما هو تقني، والتنظيم الشكلي للصفحات الشخصية، وأسلوب الكتابة؛ كلها مؤشرات تظهر ضمنيا للآخرين شخصية المتدخل. فالمناقشات تسلّط الضوء على عناصر هوية كل شخص، فالهوية الشخصية والهوية الاجتماعية مترابطتان ارتباطا وثيقا، ويظهر ذلك في أن الوسائط الرقمية مصدر منشئ للهوية، وكشكل من التميّز الاجتماعي في الوقت نفسه.

ومن بين أسباب نجاح الشبكات الاجتماعية، هو تقاسم ما يكنّه الفرد بداخله مع أشخاص مجهولي الهوية، وهذا يذكّرنا بما كان يُعرف في القرن التاسع عشر بـ "المفكرة الحميمية"، حيث يتم القيام بالاعتراف والحديث عن الذات، وعن العلاقات العاطفية، والاضطراب الداخلي، والتحرّر من الأهل، والبحث عن اعتراف الآخر. ولما كان إنتاج الحكي عن الذات يتم عبر وسائل الإعلام، لاسيما البرامج التلفزيونية المسماة "حميمية"، فإن المرء يبوح خلالها بمشكلاته العاطفية أو الصحية، وذلك أمام جمهور متشوق للتفاصيل المتعلقة بالحياة الخاصة، مع رغبة الأفراد في الاعتراف بوجودهم. (ريفيل، 2018، الصفحات 63-64)

وللاعتراف تاريخ طويل في الثقافة الغربية، لذلك تعدّدت معانيه من حقبة تاريخية إلى أخرى، ففي العصور الوسطى يعني إقرارا بالذنب باعتباره إعادة تأكيد للصدق الذي هو صفة العظماء الراعين لأبناء الكنيسة؛ وأما الفهم الحداثي فيرى في الاعتراف ظهورا وإظهارا وتأكيدا لـ"حقيقة داخلية"، لأصالة "الذات"، وهي أساس الفردية وخصوصية الفرد. ولكن، في الممارسة، كانت نشأة مجتمع الاعتراف في الزمن الراهن مسألة مبهمة، فقد أعلنت الانتصار النهائي للخصوصية، ذلك الابتكار الحداثي الأول، وإن كانت أعلنت أيضا بداية سقوطها المدوي من قمة مجدها. فكانت نشأة مجتمع الاعتراف هي ساعة انتصارها، إذ أغارت الخصوصية على المجال العام وغزته واستعمرته، ولكن على حساب خسارة حقها في السرية، وهي سمتها المميزة، وأعزّ امتيازاتها التي تضحي في سبيلها بالغالي والنفيس. (باومان، 2017، صفحة 48)

في المجتمعات الاستهلاكية الحديثة السائلة، ما عاد الإخفاء فضيلة يتنافس عليها الأفراد، فكل الأسرار، وكل حياة داخلية لابد من إفشائه في العلن وأمام الناس، سواء على صفحات المجلات، أو البرامج التلفزيونية المعدّة لذلك، أو على منصات التواصل الاجتماعي، ومن يخشى الانصياع لهذا الطقس، لابد من رفضه واستبعاده، فالعري الاجتماعي والنفسي سمة العصر، ومن يحيد عن هذه القاعدة يعدّ متخلفا عن عصره. والناس أصبحوا مجهزين بأدوات الاعتراف الإلكتروني، وهم ليسوا إلاّ أفراد يتدربون على فنّ العيش في مجتمع الاعترافات، ويدربون غيرهم على إلغاء الحدود بين العام والخاص، وتصوير إفشاء الخاص على أنه فضيلة عامة. ومعنى الاستهلاك لا يقتصر على الملذات، بقدر ما يشير إلى الاستثمار في العضوية الاجتماعية، التي تترجم نفسها في مجتمع المستهلكين إلى القدرة على ترويج الذات وتسويقها وبيعها، بمعنى تحقيق الصفات المطلوبة في السوق، أو إعادة تدوير تلك الصفات المطلوبة وتحويلها إلى سلع يمكن تسويقها، فالنجاح المذهل للفيسبوك يعود بالأساس إلى كونه سوق يمكن فيها عرض الذات وبيعها. (باومان، 2017، الصفحات 51-53)

خاتمة:

مما سبق نخلص، إلى أن موضوع الهوية متشابك، تناوله الدارسون، وأشاروا إلى تعقيداته. وبشكل عام، فإن الموقف الأساس الذي انبنى عليه التحليل المقدم في هذا المقال؛ يرفض النظرة السكونية للهوية، والقائلة بوجود كيان محوري أساسي وجوهري لذات موحدة تسعى للحفاظ على نفسها، وتتشكل ملامحها وفق مرجعية مطلقة؛ عرقا أو دينا أو قومية أو جغرافيا أو ثقافة، بحيث تظل وفية مدى الحياة لإحدى هذه المرجعيات. ولعل هذا الرأي يستند إلى مسلمتين هما: مبدأ

الهوية الذي يحكم الكون بأسره بما فيه الذات الفردية أو الجماعية، ومبدأ الثبات الذي يسود المجتمعات في كل الميادين؛ اقتصادية واجتماعية وثقافية.

ولكن النقد الذي طال مبدأ الهوية، والتغيرات العاصفة، التي أتت على كل الثوابت في الفترة المعاصرة؛ هذه الفترة التي يدعوها البعض بالحداثة السائلة، والبعض الآخر ما بعد الحداثة، بيّن أن الهوية لم تعد موروثا جامعا غريبا عن التاريخ، وما يحدث فيه من تحولات، وإنما هي حركية منفتحة ومتأثرة إلى حدّ بعيد بالواقع الخارجي، وبالحرية الداخلية التي غدت تتمتع بها الذات.

إن الاستعارة التي تبرز المعنى بشكل لافت، هي بلا شكّ "السيولة". إنها تعبير عن نمط الحياة المعاصرة الذي تحياه المجتمعات، خاصة المجتمعات الغربية؛ في الاقتصاد، والمواصلات، والاتصالات. انعكس ذلك على الجانب الفردي والجماعي، إذ انقلبت مفاهيم الأسرة، والعمل، والمعرفة، والعلاقات بين الناس، وهي في طريقها إلى مزيد من التحول الدائم والسريع.

لكل ذلك، صار انتقال الذات من وسط ثقافي إلى آخر، لا يعتبر اقتلاعا من جذورها، وإنما أصبح انتقالا سلسا وطبيعيا في عصر أصبحت المسافات قريبة بين الأماكن الجغرافية، ومتقاربة بين الثقافات. أصبحت الذات تنعم بالحرية أكثر من أي وقت مضى، وصارت تبحث عن الأمن في كل مكان.

ولما كانت قوة السوق، في ظل الرأسمالية، قهرية فقد استعبدت الثقافة، فخضعت لمنطقه، وصار الاستهلاك، وما تبعه من موضة، نمطا حياتيا، استكان له الأفراد، وأصبحت هوياتهم مسايرة للأنماط الاستهلاكية التي تفرضها قوة السوق عن طريق ثورة وسائل الإعلام، والإشهار عبر القنوات التلفزيونية، والهواتف الذكية. ذلك ولّد قناعات لدى الأفراد، بأن مسايرة نمط استهلاكي معين، أو موضة محددة، يكسبه الانتماء إلى جماعة، ويجنبه العزلة والهجر.

وقد فرضت العولمة بتحولاتها القوية والمختلفة قيما جديدة، أقوى من كل القناعات، جعلت الناس يعيدون التفكير في موروثاتهم، ويسعون إلى اكتساب عناصر هووية جديدة لمواكبة الأحداث المتسارعة، فالناس متحفزون للتواصل بلغات أخرى غير لغتهم الأم، ومضطرون لاستخدام الكومبيوتر والهواتف، واستقدام الخبرات البشرية من كافة أنحاء الكرة الأرضية. كل ذلك يُدخل عناصر جديدة للهوية، تتجاوز الموروث.

والهوية التي كانت طلسما لدى الأفراد، أصبحت مكشوفة الآن، عبر وساط التواصل الاجتماعي، وأصبح الحديث عن الذات أمرا مرغوبا فيه، أو قل أمر ضروريا، لكي تجد الذات مكانها عبر الشبكة، لأن المجتمعات صارت الآن شبكية. وصار الإفصاح عن المخفي، والمسكوت عنه أمرا جديرا بالإظهار، ولا يعتبر خيانة للذات وتعرية لها، وكشفا لأسرارها.

- المراجع:

- ميكشيللي، أليكس (1993). الهوية. ترجمة علي وطفة، دمشق: دار الوسيم.
- حرب، علي (2004). حديث النهايات-فتوحات العولمة ومآزق الهوية. الدار البيضاء-بيروت: المركز الثقافي العربي.
- دوبار، كلود (2008). أزمة الهويات-تفسير تحول. ترجمة رندة بعث، بيروت: المكتبة الشرقية.
- بينيت، طوني وغروسبيرغ، لورانس وموريس، ميغان (2010). مفاتيح اصطلاحية جديدة-معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع. ترجمة سعيد الغانمي، بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
- هارلمبس وهولبورن (2010). سوشيولوجيا الثقافة. ترجمة حاتم حميد محسن، دمشق: دار كيوان.
- المسكيني، فتحي (2011). الهوية والحرية نحو أنوار جديدة. بيروت: جداول.
- معلوف، أمين (2011). الهويات القاتلة. ترجمة نهلة بيضون، بيروت: دار الفارابي.
- إنغليز، ديفيد وهيوسون، جون (2013). مدخل إلى سوسيولوجيا الثقافة. ترجمة لما نصير، قطر-لبنان: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- باريت، بيكو (2013). سياسة جديدة للهوية. ترجمة حسن محمد فتحي، القاهرة: المشروع القومي للترجمة.
- أوماند، السير ديفيد وبارتليت، جيمي وميلر، كارل(2014). استخبارات وسائل التواصل الاجتماعي. أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث.
- ريتزر، جورج (2015). العولمة-نص أساس. ترجمة السيد إمام، القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- باومان، زيجمونت (2016 أ). الأخلاق في عصر الحداثة السائلة، ترجمة سعد البازعي وبثينة الإبراهيم، منشورات كلمة: أبو ظبي.
- باومان، زيجمونت (2016 ب). الحداثة السائلة، ترجمة حجاج أبو جبر، تقديم هبة رءوف عزت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر: بيروت.
- باومان، زيجمونت (2016 ج). الحياة السائلة، ترجمة حجاج أبو جبر، تقديم هبة رءوف عزت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر: بيروت.
- باومان، زيجمونت وليون، ديفيد(2017). المراقبة السائلة. ترجمة حجاج أبو جبر، تقديم هبة رءوف عزت، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
- ليبوفتسكي، جيل (2017). مملكة الموضة زوال متجدّد. ترجمة دينا مندور، القاهرة: المركز القومي للترجمة.

- باومان، زيجمونت (2018). الثقافة السائلة. ترجمة حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر: بيروت.
- ريفيل، ريمي (2018). الثورة الرقمية، ثورة ثقافية؟ ترجمة سعيد بلمبخوت، سلسلة عالم المعرفة، يوليو، العدد 462.

- Blay, Michel (2005). Larousse-Grand dictionnaire de la philosophie. CNRS Editions, Paris.
- -Haissat, Sebastien (2006). La notion d'identité personnelle en sociologie, Interrogation ?-Revue pluridisciplinaire en sciences de l'homme et de la société, Nº 3, Décembre, pp. 126-134.
http : //www.revue-interrogation.org vue le : 11-10-2021
- Derven, Fred (2008). Contre la solidification des identités : faire vivre les diverses diversités francophones, Synergies Monde Nº 5, pp. 95-104.